الحمد لله الذي جَعَلَ الفقه في الدين منحةً لِمن أرادَ به الخَير من العباد ، والصلاة والسلام على من بُعث ليُعلم الناس الحكمة والكتاب ، نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ ومن سار على دربهِ واتبع هداه إلى يومِ الدين .

راعي الحفل ، أصحابَ السماحةِ ، أصحابَ المعالي ، أصحابَ الفضيلة ، أصحاب السعادةِ ، ضيوفنا الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يطيب لوزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، أن تغتنمَ هذه المناسبة للتعبير عن أبلغِ مشاعرِ الترحيب بضيافةِ هذه الوفودِ المباركةِ من عُلماءَ وباحثينَ ومفكرينَ وإعلاميينَ ، آملين أن تسعدوا بوجودكم في عُمان بين إخوانكم وأهليكم ، سائلين المولى القديرَ لكم التوفيق وبُلوغَ غايتكم النبيلة ، إنه تعالى على كلِ شيءٍ قدير .

راعيَ الحفل .. ضيوفنا الأكارم ..

إن أمـةً أثَّـرَ دينُهـا فـي مـا يزيـدُ علـى المليـارِ مـن البشـرِ ليسـت بضـعيفة ؛ وإن أمـةً وصـلت عقـول علمائهـا لكشـف غـوامض العلـوم والاستفادةِ منها وتطويرها لها ولغيرها ليست ضعيفة ، إن أمـةً قوامُهـا مليارٌ ونيفٌ ليست أمةً ضعيفة . فإذن – ولعلكم تتساءلونَ معي – أينَ الخلل ؟ إنَّ أمةً إقتصادُها له ثِقلٌ عالميٌ ليستْ بضعيفة ، إن إغراقَنـا في شكايةِ حالِ الأمة ، واستحواذِ صورةٍ قاتمةٍ عنها على أذهانِ كثيرٍ من أبنائِها ، أورثنا لاشكَ خللاً في تقويمِ حاضرِنا ومعرفةِ إمكانياتِنـا وقدراتنا ، كأنما الأزمةُ مستحكمةٌ ولا مخرج منها . لكـننا لو تأمنـا سائرَ القضايا بتأنٍ وشُمولية ، لوجدنا أن الأزمةَ في الوعيِ أكثرَ مما هـيَ فـي الواقـعِ ، فنحنُ نتصـورُ أن سبب الفشلَ يَكمُـنُ فـي أننـا لـم نجتمِـعَ في دولة ، كما كان عليـهِ الأمرُ فـي عصـر السلف الصـالح ، بَيْدَ أنَّ الكِــيَان السياسـيَّ الوَاحد ما كـانَ شرطاً في النهوضِ لا في العالمِ الإسلامي ، ولا في التجاربِ العالميةِ التاريخيـةِ أو المعاصرة ، فالإسلامُ دعوةٌ ونبعُ للحياةِ الأخلاقية ، وعلى هذا ربّــىَ القرآنُ الكريمُ هـذه الأمـة ، وعلـى ذلـك كانـت مراشـدُ نبيِنـا الأكـرم – عليـه الصـلاةُ والسلام ، ألم يَبْلُــغِ الوضعُ بالأمةِ في وقتِه عليه الصلاةُ والسلام إلـى

أنَ توجَهَ بالتضرعِ قائلاً : "اللهم إنْ تُهلك هذهِ العصابةَ فإنكَ لا تُعبَدُ في الأرض أبداً ؟ ومن هنا ينبغي أن تبدأَ الأمة وثبتَها الحضاريةَ لتستعيدَ طارِفَ مجدِها وتليدَ عزِها . فلقد طوَّفَ بنا التاريخُ عبرَ مراحلَ كثيرةٍ بين أخذٍ وجذبٍ ، ومدٍ وجزرٍ ؛ مما يدلُ أنَّ هذا من قوانينِ الاستمرارِ والبقاءِ ومن حتميةِ التعايشِ في الحياة ، فلابدَ إذن أن نُزيلَ وَهْمَ الضَعفِ والتأخُرِ وعَدَمِ القُدرةِ ، من نفوس أبناءِ هذهِ الأمةِ ، وأن نغرسَ فيها الثقةَ بالنفسِ والاعتزازَ بالدينِ لتخرجَ الأمةُ من دوامةِ الدفاعِ ومن إضاعةِ الوقتِ في تنفيذِ تُهَمٍ باطلة ومن تعطيل قُدراتٍ كامنةٍ ومِن النِقمَةِ على الحاضرِ والتنصل من الإسهامِ في البناء الحضاري المنشود ، ولتتعدَى خطابَ الحاضرِ واجتهاداتِه إلى الاستجابةِ الصحيحةِ والملائمةِ للإمكانياتِ وخطاب المستقبل ، فَتَصِلَ من ذلك كلّهِ إلى فضاءِ الإنتاجِ والمعارفِ والعلومِ وإلى الانبعاثِ الحضاريِ المتوازنِ كما أرادَ اللهُ سبحانه وتعالى.

لقد ابتدَأتْ دعوةُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم بأفرادٍ قلائل ، ثم ما لبثت أن استجابت لها بيوتٌ فقرىً فمدنٌ فدولٌ فإمبراطورياتٌ بِعَدّها وعَتادِها ، لأن الإسلامَ دينُ هدايةٍ ورحمة ، تستجيبُ له النفوس

، فتتفاعلُ لذلك حركةُ الزمان تلبيةً صادقة ، لتبقى حقيقةً ثابتة ، ينتشرُ الإسلام بين الناس فإذا برقعتهِ تمتد ، وإذا بخيرهِ يَعُم . وإذا بأتباعهِ يشعرون بأُخُوّتهم وتآلفهم ولو كانوا مختلفينَ داراً ودولةً ؛ مما يدفعُنا إلى استنتاجين اثنين :-

أولُهُما أنَّ الأصلَ في رسالةِ الأمةِ نشرُ الإسلامِ نقياً صافياً ينظمُ حياةَ الناسِ بأسرِها ولَيسَ التوسعَ الجغرافي لأن هذا تَبَعٌ للأولِ وأثرٌ طبيعيٌ له ، **وأما الثاني** فهو أنَّ ما تحتاجُ إليه حقيقةً وواقعاً هو التشاركُ على منافعِ الأمةِ ومصالِحها وليس الانضواءِ تحتَ دولةٍ واحدة ، هذا التشاركُ يعني الإيجابيةَ والتفاعلَ وعدمَ الانغلاق ، لأنَّ الانكفاءَ على النفسِ والإنزواءَ يؤديان إلى مُضادةِ سُنةِ التدافعَ التي جعلها اللهُ تعالى من نواميس الحياة ، ولا ريبَ أن التفاعلَ يبعثُ على المنافسةِ ويولّدُ غنىً فكرياً وعمقاً علمياً . ولا ضيرَ في ذلك وقرآننا بين ظهرانينَا.

وأنتم علماءَ هذِه الأمةِ ومفكريها – أقدرُ من يُبينُ للناس رسالتَهم في هذه الحياة ، وأفضلُ من يبعثُ فيهم الأملَ ويبُثُّ فيهم الروح كما

أنّ المسؤوليةَ عليكم أكبرُ في تحقيقِ التآلفِ والإرشادِ إلى التشاركِ والأخذ بأسباب وَحدةِ القلوبِ وأُخوّةِ الدينِ.

ولَنا في ما تقدمَ ذكرُه من قُــدُراتِ هذه الأمةِ وإمكانياتِها المثالُ الحيُّ على قدرتِنا على التفوقِ إن تحققَ لنا التشارك ، كما لنا في غيرنا من الأمم والشعوبِ المعاصرةِ الأمثلةُ الحيةُ على إمكانيةِ ذلك.

ولئــن كان بعضُ المؤثرينَ على القرارِ العالمي قد وصفَ المسلمينَ بكثرةِ رجوعِهم إلى تاريخهم في حين أنّ الحضارةَ الجديدةَ تستشفُ حاضرها وتستشرفُ مستقبلَها فإن هذا يؤكد لنا أن مفهومَ النِدِ لا يزالُ قائماً في أذهان القوم ، أي أنهم يعلمون أنّ هذهِ الأمةَ لا تزالُ حيةً يُحسبُ لها كُـلُّ حساب ، ونحن بحمد الله تعالى واثقون من ذلك لأنّ الخيرَ والبركــةَ دائمــاً تكونُ حيثُ يوجدُ بناءٌ دعائمُــه العدلُ والإنصافُ وأساسُهُ الأخلاقُ والتقوى ومظَلّتُه العقلُ والتفكير ، وهذه الثلاثةُ - أعني ثلاثيةَ العدلِ والأخلاقِ والعقل - ينبغي أن تكونَ أساسَ تعاملِنا مع أنفسِنا ومع غيرِنا ، ومرتكــزَ خطابِنا العلميِ الإنساني الشاملِ ، بل ينبغي أن تُميز هذه الثلاثةُ تنظيراتِنا وسلوكَنا ، أنظمتنا

ومنظماتنـا ، فَلَم يُبعث الأنبيـاءُ عليهم الصـلاةُ والسـلامُ للاكـــتشافات التكـــنولوجيةِ ولكـــنّهم بُعثـوا لوضــع قوالــبَ أخلاقيــةٍ تَقــيَ الأمــم الانزلاقاتِ الفكريةَ والخُلقيةَ والعلمية ، وبهذا يكونُ رجوع الأمـة إلـى تاريخها واستقراءُ العِبرِ والعظاتِ منـه ، والاستفادةُ من تراثِـه الغنـي لِحلِ مشكلاتِ الواقعِ ظاهرةً صحيحةً ودلالةً أخرى علـى سلامةِ توجـهِ الأمةِ على الطريق الصحيح.

نعم إنَ جماهيرَ أمتِكم لا ينتظرونَ مِنكم اليومَ أن تجدوا لهم حلـولاً لمشكلاتٍ حاصلةٍ فحسب ، أو أنْ تَبعثوا فيهمُ الهِمـةَ والـروحَ فقط ، ولا أن تُعززوا لديهمِ ثِقَتَهم بهويتهمُ الحضاريةِ وكـفى ، بل كم يَـأملُونَ ونأمـلُ معهـم جميعـاً أن تستشـرفوا لهـم المسـتقبلَ بقـراءتِكم الفاحصــةِ للواقـع ، وأن تَرشِدُوهم أينَ وكيفَ يضـعون خطـواتهم القادمـة ، وأن تُقربـوا لهم آفـاقَ مـآلاتِ الأطروحـاتِ والمنظومـاتِ المتنـافسـةِ فـي عـالمِ اليوم ؛ حتى يكونـوا علـى استعدادٍ فـي منـاهجهم التربويـة ، وخِطَطِهِمُ الاقتصــادية ، وعلاقــاتِهمُ الاجتماعيــة ، وحتــى لا يفــاجَئوا بــأمورٍ أو فتنٍ يقفونَ حيارى أمامها ، ولكي نتجنب ردودَ الأفعالِ إلى دراساتٍ واعيـةٍ وهداياتٍ موضـوعية ، كَمْ نتمنـى أن تَتَبَنّـى مجامِعُنـا الفقهيـةُ ،

ومنظماتُنا الفكرية ، بما آتى الله تعالى القائمين عليها من بصيرةٍ وعلمٍ وحكمة ، سلوك هذا المنهج الاستشرافي التحليلي الواقعي . ففيه بإذن الله تعالى الخيرُ الكثيرُ لهذه الأمةِ وللمسلمينَ في كل أصقاعِ الأرض . وهذا من الحزمِ الذي عَلَّمنا إياهُ دينُنا الحنيف ، ومن الاستعداد الواجب على هذه الأمة ، وفي سيرة رسولنا محمدٍ صلى اللهُ عليه وسلم من الأمثلةِ ما أنتم به أدرى وأعلم.

لقد أصبحت الحاجةُ ماسةً لِأن يكونَ لدينا مجامعُ فكريةٍ مستقلةٍ عن أي تأثير ، تكونُ هذه المجامعُ مصدراً للبحوث والدراساتِ الشرعيةِ والعلميةِ المتعددة . بحيثُ تَستفيدُ من تجاربِ مختلفِ المذاهبِ الإسلامية باعتبارِها مدارسَ فكرية ، وهذا من شأنِه أن يقللَ من العصبياتِ المذهبية ، لأن معالجةَ ما يستجدُ من القضايا فيها سيكونُ بالاعتمادِ على الثوابتِ المعروفةِ في ديننا وبالرجوعِ إلى التُراثِ الغني لهذه المدارس الفكرية وبالاعتمادِ على أهلِ الشأنِ في المجالات التخصصية.

نَسأل اللهَ تعالى أن يوفقكُم في دورتِكم هذِه ، وأختمُ برفعِ أسمى آياتِ الشكرِ والعرفانِ لمقامِ حضرةِ صاحبِ الجلالةِ السلطانُ قابوسَ بنَ سعيدٍ المعظم على عنايتهِ بأمورِ الإسلامِ والمسلمينَ ، وبكل ما فيهِ عزُ هذهِ الأمةِ ورُقِيّها ، وبتكرمِه بالإنابةِ عَنهُ في رعايةِ حفلِ افتتاحِ الدورة الخامسةَ عَشرَةَ لمجمع الفقهِ الإسلامي ، كما نشكُر صاحبَ السموِ السيدَ شهابَ بن طارق آل سعيد على رعايته لهذا الحفل ، ونتمنَى لضيوفِنا الأعزةِ طِيبَ الإقامةِ في بلدِهمُ الثاني عُمان.

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ،،،